أصحاب الامتياز
منير البعلبكي - سهيل ادريس - بهيج عثمان

المدير المسؤول : بهيج عثمان
رئيس التحرير : الدكتور سهيل ادريس

Directeur : BAHIJ OSMAN
Rédacteur en chef : SOUHEIL IDRISS

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
تصدر عن دار العلم للملايين - بيروت

ص.ب ١٠٨٥ — تلفون ٢٤٥٠٢

AL-ĀDĀB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH - LIBAN B.P. 1085
Tél. 24502

العدد السابع
تموز (يوليو) ١٩٥٤
السنة الثانية

No. 7 - Juillet 1954
2ème Année

« منذ اسابيع أذيع في الناس خبر ، مر في عتمة الأخبار ،
« ولعلك قرأته مصادفة وطويت الجريدة. ولقد مر في هذا الخبر
« اسم لعل القلائل فقط يعرفونه : « الدكتور اوبنهايمر » صاحب
« القنبلة الذرية الاولى . ولقد ذكر معه أن الرئيس ايزنهاور
« أمر بتطويق الرجل وبأن يحبس عنه كل سر من اسرار الذرة
« المتفجرة وقالوا : إنه أضحى خطراً ... منذ استيقظ ضميره !
« لقد كان العبقرية الكبرى بعد اينشتاين في العالم الحاضر ، كان
« (فاوست) المتطلع الى كل شيء بأي ثمن ... منذ سنوات. أما
« اليوم فهو (هملت) أتعرف هملت ؟! »

ترددت طويلاً قبل ان افرض على نفسي هذا الموضوع ، خشية ان اكون كالمأسوف على فروسيته (دون كيشوت) احارب الوهم وأطعن بالرمح الخشبي اشباحاً تخلقها لي عيناي. وخشيت أكثر من هذا ان لا يكون للمأساة التي يتخبط فيها الانسان الحديث من صدى في بلدي ، فأين نحن من الحياة الحديثة ونحن لما نزل عند عتبة الهيكل ؟ وأين منا افراحها العرمة إن كان لها من افراح ، ومآسيها الساحقة إن كان لها من مآسٍ ، ونحن بعد على هامشها نجتر مآتيها وننعم بنتاجها ونترك لغيرنا عبء الابداع والخلق ، ونشوة الفرحة البكر عند ارتياد النبع والصرخة الدامية عند الانهيار ؟

على ان قصة الدكتور اوبنهايمر فجرت المأساة لكل عين .. وأما بلدي فسيعرف اليوم او غداً هذه المأساة . إن الحياة الحديثة التي تتسلل حتى الى الصحارى العربية ستفرض يوماً ما مشاكلها . والآلة التي تدخل ارضنا صماء بكماء ستتحدث ذات يوم الى من توقعه المصادفات في قبضتها. وليس من بأس ، في أن نعاني الأزمة ، قبل ان تكتمل عناصرها فينا ، وليس من بأس إن تفجرت المأساة بكل عنفها في نفوسنا . أوليست هي التي تمهد لنا درب الحياة الأصيلة المقبلة في هذا المفترق من الدروب ؟

لكنني سأكتفي بصورة المأساة وحدها دون الدروب ، فأنا لم اقصد الى حل مشكلة بقدر ما اردت ان اضع مشكلة وأن أثير تساؤلاً . أنا اكتفي ان أغفى قارئي اليوم وحول رأسه إشارة استفهام !

من « فاوست » الى « هملت »
مأساة الإنسان في الحضارة الحديثة

بقلم شاكر مصطفى

وبعد فهل للانسان الحديث من مأساة ؟ وأين هي تلك الأزمة الفاجعة التي يشكو منها ؟ انا اعرف ان الشكوى رافقت كل العصور حتى ليخيل إليّ احياناً ان التاريخ كله ليس أكثر من آهة متصلة. وليست هذه هي المرة الأولى التي يطفح فيها القلق واليأس ويجرف الناس ، فقديماً شكا الفيلسوف الفرعوني والكاتب الفينيقي ، وشكا سقراط وشكا ديوجين والرواقيون .. وكثيرون بعدهم قبل المعري وبعد المعري قالوا معه :

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناه على هرم

« فكل من تلقاه يشكو دهره » وأمس ، في اليوم التالي لمعركة (واترلو) سنة ١٨١٥ سجل (لامونيه) الأسطر التالية : « إن الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة الى الهلاك . إنه في النزع الأخير كذلك الجريح المسكين الذي لا يرجى له شفاء . إنه يتخبط في دمه ، فكثرة الأخطاء في حضارتنا وقوى

الزمن التي لا تقهر تجررها حتماً الى الغرق » وأخيراً اما ارتفع اليأس اليوم وارتفع « العبث » ليصبحا عقائد وفلسفات للوجود؟

لا شك ان الشكوى الدائمة ميزة إنسانية . والانسان هو الحيوان الوحيد القلق لأنه بعكس جميع الكائنات يحاول دائماً ان يفوق ذاته . وما شكواه غير دليل على تطلعه الدائم الى ما فوقه ؛ أو على الأقل الى انسان آخر جديد ! على اني اعتقد ان عصرنا الحالي من العصور النوادر التي فتكت بها الأزمة في العمق والاتساع والشمول فتكاً يستحق ان يرتفع بها الى مرتبة المأساة ! لقد مر بالانسانية كثير من الأزمات دون شك ولكنها كانت تصيب القطيع البشري ككتلة ، لا الانسان الفرد الشاعر بذاته ، كإنسان اليوم . وقد أوجدت الحضارات السالفة فكرة العالم الآخر فاستطاعت إيجاد شيء كثير او قليل من التوازن مع مساوىء هذا العالم . كما ابتكرت احياناً أمل « المسيح » (المنقذ) أو المهدي المنتظر فتركت كوى الأمل مفتوحة للناس ، ولكن الانسان الحديث يعيش إلى حد كبير دون امل . لا ثقة له بعالم أفضل ينتظره ولا بمهدي يقلب له الأرض فردوساً ! إنه في قدره اليائس أشبه بأبطال المآسي اليونانية ؛ أشبه بأوديب أو هرقل أو ديدال يعرف مصير ويراه ويعرف في الوقت نفسه ألا مفر من الاغفاء على سكين القدر !

وينعت « برتراند رسل » هذا الموقف الانساني اليوم بكلمة « جنون العصر » كما سميت السوداء في مطلع القرن الماضي بمرض العصر . ويسميه احياناً : « جنون الانتحار » لأن الناس في رأيه في الشرق والغرب « يرون التفتيش عن التعاسة والشقاء أكثر سهولة من البحث عن السعادة الحقيقية » . ولكن هذا الجنون قد شاع لدرجة لف بها كل شيء وتسرب حتى الى الحياة العادية . وشرب الناس من نبعته وسيشربون ايضاً كما اضطر الملك العاقل في الحكاية ، ان يشرب بعد ان شرب شعبه ، من نبعة الجنون !

وإنا لنستطيع ان نتتبع مظاهر المأساة الانسانية القائمة في كل خلجة من حياة الناس . وحين تناولتها الأقلام ، في العام الماضي ، بمؤتمر جنيف تبين انها اضحت حقيقة يرتجف لها مخبر العالم كما يهمس بها حلم المصلح وتقطر من اقلام المفكرين فلسفة سوداء كما تنحدر عن أيدي الفنانين ادباً قلقاً وتصويراً متمرداً وموسيقى ثائرة !

دعونا نبدأ بالأدب لا لأنه ألصق بالنفوس وأقرب الى رعشة القلب فحسب ولكن لأن الادباء ساهموا كأية فئة اخرى إن لم يكن أكثر من أية فئة اخرى في خلق هذا الجو من السلبية واليأس المخيم .

ليس فينا من لم يقرأ قليلاً او كثيراً من « الأدب الأسود » وليس فينا من لم يسمع عن قرب او بعد بتلك الخصومة المتصلة التي تكافح بها بعض المذاهب ذلك الأدب وتدعو الى حرقه لكثرة ما يندفع الشباب كالذباب النهم حول موارده وما يعانون في نشوته من ألم قد ينتهي الى الجريمة او الى الانتحار وإلى انكماش في مثل (نرڤانا) الهنود او إلى استسلام رخيص لا يبالي بشيء !

وابطال هذا الأدب الاسود ليسوا بالقلائل ولا بأصحاب الفكر الضعيف وإني لأراهم مواكب طويلة تسكر (أو تسمم لست ادري) إبداع هذا العصر : هذا فرانز كافكا (التشيكي) تقرأه فما تزال تدخل معه من عتمة إلى عتمة ومن مبهم إلى مبهم آخر لا ينقضي ، وتخرج من قراءته دون ان تنتهي إلى شيء ولكنك تحس فجأة انه احتفر في اعماقك هوة رهيبة وانه وضعك وجهاً لوجه امام القوة المجهولة التي تسحقنا فلذة فلذة في عبث حقير غريب . هذه خلاصة ما يريد قوله في كتابه (سد الصين) وفي (الدعوى) و(القصر) ويصل به الامر في قصة (المسخ) إلى ان يتصور فتى أفاق ذات صباح فاذا هو قد مسخ حشرة كابشع ما تكون الحشرات وإن كان ما يزال له عقله الذي يعي وقلبه الذي يحب ونفسه التي ترضى وتغضب . ولا تزيد القصة عن ان تروي ذبول العواطف في قلب الأم والأخت والأب حتى تنتهي الحشرة إلى موت حقير سخيف . وتسأل نفسك في النهاية : أتراه كان يتحدث عني؟ عن هذه الحشرة البشعة المهملة فوق هذا الكوكب !

وننتقل إلى سارتر من فرنسا . إنه يعرض وجهاً آخر من المأساة الانسانية . ليست مأساة القدر ولكنها مأساة الوجود نفسه ، وجودنا الذي لا قيمة له والكون الذي لا معنى لقيامه فان شعورنا بالوجود أثار فينا ما ثار في نفس انطوان روكانتان « بطل سارتر » امام شجرة الكستناء : (الغثيان) « ... لم يتركني الغثيان ولا اعتقد انه تاركي وشيكاً . ولكني لا أقاسي منه اي شيء . إنه ليس بمرض ولا بضيق عارض . إنه انا » وقيمة سارتر كما يقولون هي في انه اعطانا نظرة وقيماً تنطبق مع عالم الشهادة هذا ومع إنسان هذا العصر ، ومع يأس الفكر المعاصر . وإذا كنا نراها باشكال مختلفة في (الأيدي القذرة)

و (الذباب) او في (طرق الحرية) فان « ماتيو » يظل دوماً البطل النموذجي لها .

ونقفز إلى امريكا . فنلقى على الطرف الآخر من المحيط صورة اخرى للمأساة لدى ما يسميهم النقاد بـ « الهدامين » و« الجيل الهالك » ولكنهم مع هذا نالوا، جوائز نوبل للآداب. ومنهم لويس ومنهم فولكنر .

فأما سنكلر لويس فالمأساة عنده هي جحيم التشابه والتجانس الذي انحطت اليه الحياة الحديثة . كأن الآلة قد نشرت رداءها الداكن على ملايين البشر اليوم فاذا هم قطيع لا يدري ما يريد ولا اين يسير او كأنها ابتلعت شخصياتهم وصهرتهم في قوالب تخرج كالدمى بالملايين من المعامل لتحقق حركات رتيبة متماثلة لا تستطيع منها فكاكاً . وفي قصة (بابيت) يقدم لويس نموذجاً للانسان ـ الآلة : رجلاً اجتمع له الثراء والرفاه والنجاح في العمل ولكنه لا يستطيع التخلص من ابسط عاداته : إنه عبد ! لا يستطيع ان يقلع عن التدخين ولا ان يخرج للنزهات التي يحلم بها بل ولا ان يغير المكان الذي يلقي به شفرات حلاقته! برنامج حياته اليومي رسم مرة واحدة وإلى الأبد ! كحياة الكثيرين حولي وحولك !! والنصيحة الوحيدة التي يقدمها لابنه قوله : « إني لم استطع طول حياتي ان افعل ما أريد فاذهب يا بني واصنع ما تريد » . وكل ابطال سنكلر لويس من هذا النوع الذي يريد ولا يستطيع لان الحياة الآلية تلتهمه : « كارول » التي تحاول في قصة (الشارع الرئيسي) ان تحطم التقاليد . « آرو سميث » العالم المثالي الذي يحاول تخليص العالم من التفاهة والجشع . « غانتري » ، « نيكرز » وغيرهم ... كلهم .

مأساة الانسان الحديث

« ينبغي له ان يضحك ووجهه الى الارض » كامو ـ من مسرحية «العادلون»
بريشة ادينا سيسكو

ونمر بعد هؤلاء لماماً ، كتقبيل الفراشة للورد ، بفولكنر الذي يرى ان البشر منفي على هذه الأرض ويعرض من مآسيه لنضال الانسان المرعب ضد الفناء ولكنه يتركه دوماً حطاماً دون امل . وليس من بطل من ابطاله يحاول ان يتعرف سر شقائه لأن هذا العالم برأي فولكنر كان وسيظل شراً لا يدرك .

ونقف لحظة عند « جيد » الذي رأى ان لعنة الانسان الحديث انه لا يحيا ، ولا يتذوق الحياة، فجعل كل رسالته الدعوة الى التجربة والى المعاناة. إنه يصم اذنيه عن سماع كلمة الانجيل «ربنا نجنا من التجربة» ليدعو الى التجربة الروحية والأرضية والفكرية على السواء ويألم ان ينتظر عند الباب لا يدخله وامام الثمرة الحرام لا يذوقها والأفق يصبيه مجهوله فلا يقتحمه ! آمن ان المتعة الكاملة بالحياة هي نسيج وجودنا . إنها ليست خطيئة ولعنة كما كانت عليه تجربة اوسكار وايلد وفيرلين وبودلير وليست وسيلة للمعرفة وللوصول الى الحقيقة كما جعلها غوته ولا بحثاً عن المثل الأعلى او المطلق كما هي عند « هولدرلن » و « رامبو » بل هي وجودنا الانساني الحي.. وهنا كل المأساة!

ولقد يمكن ان نذكر هنا عدداً كبيراً آخر من الأدباء . « دوسباسوس » الأمريكي ، و « كامو » صاحب (خرافة سيسيفوس) وتزفايغ الذي بشر بالقلق والشيطان حتى مد له الشيطان أنشوطة الانتحار، ولكن لا بد ان ننتقل الى لون آخر من ألوان التعبير: الى التصوير . وأكتفي قبل ان نخوض في بيكاسو وماتيس وقبائل الأطياف والألوان ان أسجل تلك الفردية المغرقة التي تجتاح الأدب المعاصر ، وهي في حد ذاتها ثورة وتمرد وصرخة هرب، ثم تلك المأساة التي يصورها بوجوه مختلفة

ـ التتمة على الصفحة ٥٩ ـ